المجتمع الميزابي وعصر المعلومات



أ. مختار بن طاهر لعزيز

طالب علوم الإعلام والاتصال

Email: mkhtrlzz@gmail.com

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدى والصلاة والسلام على النبي الحبيب المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم أجمعين.

لعل أبرز مظهر يمثل عصرنا الراهن أنه عصر ثورة المعلومات والاتصالات، هذه الثورة التي نمت في منتصف القرن الماضي مع اختراع الترانزستور ونمو البث الإذاعي والتلفزيوني، ثم تعاظمت مع نهايات ذلك القرن فكانت ثورة حقيقة تركت علامة فارقة في تاريخ الحضارة البشرية وتقدم الإنسان.

وقد تميزت ثورة المعلومات هذه بظهور قنوات اتصال جديدة لا تعرف حدوداً ولا حواجز، فظهور البث الفضائي والانترنت، حَوَّلَ العالم إلى ما يشبه القرية الصغيرة على حد تعبير مارشال ماكلوهان ومكنت أي شخص من معرفة ما يجري على بعد آلاف الأميال منه وهو جالس في غرفته المغلقة أمام شاشة التلفزيون أو جهاز الكمبيوتر.

أدت هذه التطورات إلى ظهور صناعة جديدة، ألى وهي صناعة الإعلام، ولكل صناعة سواء كانت تنتج سلعة مادية أم فكرية، لها أسس وعناصر، فإن الأسس التي ترتكز عليها صناعة الإعلام هي ثلاثة: الرسالة الإعلامية والتي قد تكون حدثاً أو موضوعاً أو فكرة، والعنصر البشري المتمثل في المرسل والمتلقي، وأخيراً الوسيلة أو التقنية التي سيتم من خلالها إيصال الرسالة الإعلامية من المرسل إلى المتلقي وتهدف العملية الإعلامية إلى ترويج السلع (المادية أو الفكرية) بهدف تحقيق منفعة المنتج وإشباع رغبات المستهلك.

حيث أصبح الإعلام عصب التطور في عصرنا الراهن، شأنه شأن الزراعة والصناعة، وأصبح تطور المجتمع وازدهاره يعتمد على كمية المعلومات والتقنيات والموارد التي يمتلكها. من هنا يبرز دور الإعلام في مجتمعنا، الذي لم يقدم الكثير في ثورة المعلومات والاتصالات هذه، بقدر ما كان مستهلكاً ومستورداً لهذه التقنيات مما يضعنا أمام واقع يحتاج إلى الكثير من الدراسة والتحليل.

فبعد ما يقارب ربع قرن من الزمان، شهدت المجتمعات العربية عامة و المجتمع الميزابي خاصة تحولات كبيرة في الشبكة الاجتماعية تقودها وسائل الإعلام باختلافها، من بينها القنوات الفضائية الأجنبية والعربية، وخاصة في السنوات القليلة الماضية والحالية، باتت تتنافس في تقديم الفجور والفساد الأخلاقي للجمهور المتحفظ، عن طريق البرامج المستوردة والمدبلجة، أو من خلال المشاهد (المحلية الصنع) المتضمنة لمظاهر الانحطاط الأخلاقي أو المعبرة عن السلوكيات الشاذة عن قيم المجتمعات العربية بصفة عامة. وكل ذلك يتم بهدف جذب الجمهور ومن ثمّ الكسب المادي عن طريق الإعلانات التجارية، حتى ولو كانت مخلة بآداب المهنة، من أجل ذلك كان موضوع تأثير الإعلام الربحي غير الهادف على قيم الأسرة المسلمة وأخلاق الناشئة مصدر اهتمام وقلق المصلحين في المجتمعات المسلمة عامة، والمجتمع الميزابي على وجه الخصوص إذ بحثوا وكتبوا ونصحوا من أجل التقليل من مخاطر هذا الإعلام الغير الهادف وبيان تأثيره على الفرد والأسرة والمجتمع، ولهذا يجب أن نسعى جاهدين إلى تحقيق إعلام هادف يعمل على أداء الرسالة الثقافية والتربوية، فدور وسائل الإعلام التي تُستغل في التنشئة الاجتماعية للفرد، لا تقل أهمية عن دور المؤسسة التربوية، فالوقت الذي يقضيه الطفل أو الشاب في تعامله مع وسائل الإعلام لا يقل أهمية عن الوقت الذي يقضيه في المدرسة، ولا تتحقق وظيفة التنشئة إلا بتكامل عمل المؤسستين التربوية والإعلامية بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

من هذا المنطلق تتضح أهمية الوسائل الإعلامية في أداء رسالتها الثقافية والتربوية، إذا ما أحسنا استغلالها، حتى لمن يجهل القراءة والكتابة، كما أن التعلم عبر وسائل الإعلام يقوم في جوهره على ترابط عضوي بين التعلم والترويح عن النفس، أي يمكن اعتبار المؤسسة الإعلامية مدرسة موازية، تساند المدرسة التقليدية وتكمل عملها، هذا بالطبع إذا عرفت كيف تستغل تلك الوسيلة، يا أخي وأختي قارئ الجريدة، أو مستمع الراديو، أو مشاهد التلفزيون، أو متصفح الويب.

فهل أسأنا استخدام هذه الوسائل الإعلامية فصارت وبالاً علينا بدل أن ننعم بها ونوظفها في خدمة التنمية البشرية لمجتمعنا الميزابي بصفة خاصة؟ وهل استطعنا توظيفها بما يخدم قضايانا ويطرح رؤيتنا وفكرنا وحضارتنا إلى شتى أنحاء الأرض؟.

بقلم: أ. مختار بن طاهر لعزيز